المحاضرة الرابعة عشرة

كيف تؤثّر في قلوب القريبين منك

كيف تستطيع الزوجة أن تؤثر في قلب زوجها، وتملأ بيتها سعادة معه؟

كيف يستطيع الزوج أن يؤثر في قلب زوجته ويزرع حباً لا تذهبه الأيام؟

كيف نستطيع أن نملأ بيوتنا تفاهماً وتراحماً وتعاضداً ومودة؟

كيف نؤثر في قلوب القريبين منَّا؟

هذا ما ستتناوله هذه المحاضرة، وهي مفيدة في الحياة الزوجية بشكل خاص، ومفيدة في الحياة بشكل عام؛ في العمل، وفي الدراسة، وفي المسجد...

فهي محاضرة عامة تفيد في كل نواحي الحياة، وإن كنَّا خصصنا أمثلتها لما يتعلق بالزوج وبالزوجة.

الأمور التي تستطيع بها أن تكسب قلوب مَن حولك

أولاً- تقوى الله تعالى

إذا أصلحتَ ما بينكَ وبين الله أصلحَ الله ما بينك وبين الناس،

ومَن أصلح جوَّانيه أصلح الله له برَّانيه. وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أعطى المؤمن الألفة والملاحة والمحبة في صدور الصالحين والملائكة المقربين**»، ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ١٩/ ٩٦]»[١]. فإذا اتَّقيتَ الله تعالى جعل محبتكَ في قلوب أهل بيتكَ على ما فيكَ من النقص.

وإذا اتقيتِ الله عز وجل جعل حبكِ وإكرامكِ في قلب زوجكِ على ما فيكِ من النقص. كان أحد الصالحين يقول: (إني لأعرف حالي مع الله من خُلُق زوجتي)، أي: إذا رأى في زوجته تَرْكاً لطاعته، ونشوزاً عن أوامره، وابتعاداً عنه، وإغضاباً له، كان يراجع نفسه، وينظر ما الخطأ الذي أخطأه مع الله؟ ما الفريضة التي قصَّر بها؟ ما النهي الذي ارتكبه؟ ما التقصير الذي أبعده عن ربه؟ بهذا التقصير يُلقي الله عز وجل في قلوب العباد شيئاً نحوه، أما من يتقِ الله فهو حسبُه، وسيكون معه في شؤونه كلِّها ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٦٥/ ٤]. يقول النبي ﷺ: «**إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبَّه، فيحبُّه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبُّوه، فيحبُّه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»[٢].

إنك لتَرى الذي يحبه الله تعالى مُكرَماً في عمله، موفَّقاً في بيته،

(١) تفسير القرطبي، و(نودار الأصول) للحكيم الترمذي.
(٢) متفق عليه.

إذا تعامل مع الناس عاملوه بإيجابية كبيرة، إذا دخل المسجد جمَعَته علاقة طيبة مع المصلين، وأينما توجه تيسَّرت أموره؛ لأن جبريل نادى في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فأحَبَّه أهل السماء، ووُضِع له القبول في الأرض.

ومن جملة القبول في الأرض القبول في البيت. فإذا أحبك الله لأنك انضبطت بأوامره، واتَّقيت، وجعلتَ خشيته نصب عينيك، فإنه يتولى إصلاح أمرك، ويجعل الودَّ والرحمة في قلبك وقلب زوجتك، أما إذا عصيتَ الله تعالى تولى الشيطان الإفساد بينكما، لذلك تقرأ في تتمة الحديث: «**وإذا أَبْغَضَ عبداً دعا جبريل، فيقول: إني أُبْغِضُ فلاناً فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جبريل، ثم ينادى في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُونَهُ، ثم تُوضع له البغضاء في الأرض**».

فأصلِح ما بينك وبين الله يصلح الله تعالى ما بينك وبين الناس، وهذا أول أمر تؤثِّر به في قلوب القريبين منك.

ثانياً- الابتسامة

قال رسول الله ﷺ: «**وتَبَسُّمُكَ في وجه أخيك صَدَقة**»(١).

أن يبتسم الزوج لزوجته مع همومه وضيقه وشدَّته... وأن تبتسم الزوجة لزوجها مع همومها وتعبها وشدتها... هذا أمر له أجر عند الله تعالى ونفع بين الناس.

---

(١) أخرجه الترمذي.

قيل: الرجل لا يحب من الزوجات ثمانٍ:

المسيطرة.

الكذوب.

الشرسة.

الانعزالية.

السلبية: لا تهتم بفرحه ولا بتَرَحه ولا بهمومه.

العنيدة: التي لا تفعل إلا ما تريد.

الروتينية: التي لا تغيِّر شيئاً في شكلها، ولا في بيتها، ولا في طعامها، ولا في برنامجها مع زوجها...

النَّكِدة.

فابتسمي -أيتها الزوجة- لزوجك عندما يأتي إلى البيت، فهو يحب أن يراك مبتسمة، ولا يحب أن تكوني نَكِدة عاقدة الحاجبين. فالرجل الذي يتعب خارج البيت، وتضايقه هموم العمل، يزداد همه وضيقه وكربه إن عاد إلى بيته فشاهد زوجة عابسة، ويشعُر بأن زوجته تزيد همه ولا تنقصه. وكذلك على الزوج أن يراعي ذلك، فيدخل بيته ضحَّاكاً، ويخرج بسَّاماً. سُئِلت السيدة عائشة رضي الله عنها: كيف كان رسول الله ﷺ في بيته، فقالت: **(كان بسَّاماً ضحَّاكاً)**[1]. (بسام): على وزن (فعَّال)، صيغة مبالغة من الابتسامة، يعني كثير الابتسام.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في: (تاريخ دمشق)، وإسحاق بن راهويه في: (مسنده).

تكره النساء الزوج الفظّ الغليظ.

قيل: لا تحب المرأة من الأزواج ثمانية:

البخيل.

الجبان.

الوسخ.

الغادر.

الفاجر.

الساذج الخفيف.

الذي لا يغار عليها.

الفظّ الغليظ: هو العبوس دائماً.

فالرجل العبوس غير محبوب، وإن كان ذا مكانة علمية أو اجتماعية عالية.

لعلكَ تدخل إلى طبيب في عيادته، فإن رأيته عبوساً لم ترتح له، أما إذا استقبلك بابتسامة انشرح له صدرك. وكذا لو دخلتَ إلى بائع في متجره فعامَلَك بفظاظة، فإنك تخرج من محله ولا تعود إليه. فكيف إذا ابتُلِيَ رجلٌ بزوجة عبوس لا تبتسم، أو ابتُلِيت زوجة بزوج كذلك؟!

يُذكَر أن رجلاً كان كثير الابتسام، كثير السلام على مَن حوله، فقيل له: نراك كثير الابتسام! فقال: (كَفُّ عداوة بأرخص مؤونة،

وكَسْبُ مودَّة بأيسر مبذول). قال النبي ﷺ: «**لا تحقِرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طَلْق**»[١]. فإذا لقي الرجل أخاه بوجه طلق نال أجر صدقة، وكُتِب له معروفٌ، فكيف إذا ابتسم لزوجته، أو الزوجة ابتسمت لزوجها؟!

ثالثاً- البدء بالسلام

قال رسول الله ﷺ -ويروى موقوفاً على عمر-: «**ثلاثٌ يُصَفِّين لك ودَّ أخيك**» أي: في ثلاثة أشياء تكسب ودَّ من تُعامِله بشكل صافٍ ونقي، أولها: «**أن تبدأه بالسلام إذا لقيتَه**»؛ إذ المبادرة بالسلام مبادرةٌ بالتحية والاحترام، فإن عاد الزوج من عمله وبادر زوجته بالابتسامة والسلام والوجه الطَّلْق كسب قلبها. وكذا المرأة عندما تركض باتجاه الباب إذا سمعَت زوجها يَفتَح الباب، وتترك ما في يدها، وتبادره بالسلام تكسب بذلك قلبه. أما إذا كانت الزوجة تتابع مسلسلاً ودخل الزوج، فلم تأبه له، بل أرسلت ابنها لينظر ما يريد أبوه!! فهذه امرأة تنفِّر زوجها منها؛ لأن الزوج يحب أن تتلقَّاه زوجته إذا دخل البيت، ويحبُّ أن تودِّعه إذا خرج، وأن تمشي وراءه لتودِّعه عند الباب.

وبالمقابل فالزوجة عندما تبادر زوجها بالسلام عليه أن يردَّه بمثله أو بأحسن منه، وألَّا ينشغل عنها وينصرف ليقول لها: خذي هذه الأغراض من يدي!!

---

(١) أخرجه مسلم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء: ٤/٨٦].

أما ثاني وثالث ما تكسب به ودّ أخيك فـ: «**أن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسِّع له في المجلس**»[(١)]، والزائر يُسَرُّ بترحاب المزور، وحُسنِ استضافته، فكيف إذا كان الترحاب من الزوجة لزوجها أو العكس؟

رابعاً- الهدية

قال رسول الله ﷺ: «**تهادوا تحابُّوا، فإن الهدية تُذهِب وَحَرَ الصَّدر**»[(٢)].

إن علمتَ أن غيظاً في صدر أحدٍ تجاهك فبادره بالهدية، لأنها تُذهِب ما في صدره، والزوجة يرضيها مِن زوجها هدية بسيطة؛ إذ لا يُشترَط أن تكون الهدية باهظة الثمن، فلعلك بوردة تشتريها بثمن زهيد ثم تحملها لزوجتك تُشعِرها كأنَّها ملَكَت الدنيا، ولعل زوجة تشتري لزوجها زجاجة عطر بسيطة تملك بها قلبه، فالأمر ليس أمراً مادياً، لكنه يُشعِر كلا الزوجين بأن الآخر يفكِّر فيه، ويعتني به.

ثم لابد أن تكون الهدايا متناسبة مع المدخول المادي، فاهتمام

---

(١) أخرجه الحاكم، والطبراني في: الأوسط.

(٢) وحر الصدر: غشُّه ووساوسه، وقيل الحقد والغيظ، وقيل العداوة. والحديث أخرجه الترمذي والبيهقي.

الزوجة بما يشعر به زوجها نحوها أكثر بكثير من اهتمامها بما يحمله لها.

ومن الممكن في مناسبة مهمة -كنجاحها في كلِّيَّتها بعلامات عالية، وهذا يكون مرَّة في السنة- أن تهدى هدية تمثِّل ربع الدخل مثلاً، مرة واحدة، وليس في كل مرَّة.

ثم إنه ينبغي على الزوج بين الفينة والأخرى أن يقدم لزوجته هدية بسيطة، حتى وإن كانا متزوجين من سنوات عدَّة، لأنها تفرح بها جداً، وتقدِّر ذلك لزوجها، وتحمله برموش عينيها، وعلى الزوجة كذلك أن تكسب ودَّ زوجها بهدية بين الحين والآخر، ولعلَّ خصاماً شديداً يقع بين الزوجين تحلُّه هدية بسيطة.

خامساً- حسن الاستماع

كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزِع يدَه من يده حتى ينزع الرجل يدَه[1].

تجد بعضهم يسلِّم على الناس متأنّفاً متعالياً، أما النبي ﷺ فكان إذا سلَّم عليه رجل يبقي يده في يده حتى ينزعها الرجل، وإذا خاطبه رجلٌ التَفَتَ إليه جميعاً، وبمجرد هذه الالتفاتة يشعر من يقابلك بأنك أعطيته كلَّك، فأيُّ أدب هذا؟!

تظهر في العالم اليوم مدارس لتعليم فن الاستماع، كيف تستمع

(١) أخرجه الترمذي وأبو داوود.

إلى الآخرين؟ وكيف تكون مستمعاً ناجحاً؟ وعلى الزوجة أن تتدرب على فن الاستماع؛ فإذا كلَّمها زوجها أغلقت التلفاز، وتوجهت إليه بوجهها وقلبها، وشاركته مشاعره وأحاديثه، تتألم لألمه، وتُسَرُّ لسروره. وكذلك أقول للزوج: إذا كلَّمَتكَ زوجتكَ فانصرف إلى حديثها، وتوجه إليها بوجهك وقلبك.

يعود بعض الأزواج من العمل، يتوضأ ويصلي، ثم يتابع الأخبار، وزوجته تريد أن تتكلم معه، فيأمرها أن تنتظر حتى يتابع الأخبار، فإذا انتهت أخبار المحطة الأولى، انتقل إلى الثانية، ثم إلى الثالثة...، وهكذا ينهي ليلته من دون أن يستمع لزوجته التي انتظرت عودته لتبثَّه آمالها وآلامها!!

استمع -أيها الزوج- لزوجتك، أعطها اهتمامك وكُلِّيَّتك، فقد بات الآباء اليوم في بيوتهم لا يستمعون للأمهات ولا للأبناء، وهذه مشكلة تسبب غربة بين أفراد الأسرة.

إن بيوتنا التي تحتاج إلى مال تحتاج إلى آباء يشرفون ويتابعون ويهتمُّون ببيوتهم؛ لأن الحياة ليست مالاً كلّها.

سادساً- قضاء الحاجات

قضاء الحاجات بابٌ كبير من أبواب التقرُّب إلى الله تعالى، والتأثير في قلوب القريبين منك؛ يقول النبي ﷺ: «..**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[1]. فإذا قضى الرجل حاجة

(١) أخرجه مسلم وأبو داوود والترمذي.

زوجته قضى الله حاجته، وإذا قَضَت الزوجة حاجة زوجها قضى الله حاجتها، فليكن الله فيما بيننا، أزواجاً وزوجات، أي: عندما تخدم الزوجة زوجها فلتخدمه لله، وعندما يرعى الزوج أهل بيته فليكن ذلك لأجل الله، وعندما يقضي حاجة زوجته فليطلب الأجر من الله. لا يصح أن نخدم الآخرين باحثين عن المكافأة السريعة، فيخدم أحد الزوجين الآخر إن خدمه الآخر خدمة مكافئة، بل اقضِ حاجة زوجكَ لوجه الله تعالى يقضِ الله حاجتَك، ويأجرك في الدنيا والآخرة، ويملأ قلوب القريبين منك محبة لك واحتراماً.

سابعاً- حُسنُ المظهر، وجمالُ اللباس، وطيب الرائحة

قال سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه يصف النبي ﷺ: **(ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه)**[١].

ووصف هند بن أبي هالة التميمي رضي الله عنه عنق رسول الله ﷺ، فقال: **(جيده -يعني: عنقه- كأنه جيد دمية في صفاء الفضة)**[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: **(ما شَمَمْتُ عنبراً قَط ولا مِسْكاً ولا شيئاً أطيب من ريح النبي ﷺ، ولا مَسَسْتُ قط ديباجةً ولا حريراً أَلْيَنَ مَسَّاً من رسول الله ﷺ)**[٣].

وفي حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: **(صليتُ مع رسول الله ﷺ**

---

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه الطبراني، والترمذي في: الشمائل.

(٣) متفق عليه.

صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله، وخرجتُ معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدَّي أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدي، قال: فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار)[1].

فإن كانت الزوجة في البيت جميلة الرائحة، نظيفة البدن، حسنة الثوب، معتنية بملابس أولادها ورائحتهم حين يستقبلون أباهم، مرتبة بيتها...، أثَّرت في قلب زوجها حباً وإكراماً. وإن كانت على خلاف ما ذُكِر أثرت في قلب زوجها كرهاً وإيلاماً.

وما قيل في حقِّ الزوجة نظافةً وطلعةً وطِيباً يُقال في حقِّ الزوج؛ إذ الزوجُ النظيفُ الحَسنُ الثَّوبِ الطيبُ الرائحة ينالُ حبَّ زوجته ورضاها.

ثامناً- إحسان الظنِّ، والاعتذار عند الخطأ

المرء قويٌّ عندما يعتذر إذا أخطأ؛ لأن البشر يخطئون، والمرء ضعيف عندما يستمر على خطئه وهو يعلم، هذا من جهة، ثم قبول الاعتذار ممن أساء مَكرُمة، والتعنُّت في ردِّه مذمَّة. فمهما أخطأت -أيها الزوج- فلا تضعف أن تعتذر وترجع عن خطئك إلى الصواب. ومهما اعتذرت إليك زوجتك تطلب سماحاً فارضَ، واعلم أن الوصف الذي تعامل به الخلق يعاملك به الحق، فمن عفا عفا الله عنه، ومن شدّد شدّد الله عليه.

---

(١) جؤنة العطار: هي القارورة التي يُعِدُّ فيها الطيبَ ويدَّخرُه. والحديث أخرجه مسلم.

تاسعاً- إعلان المحبة والمودة أمام الآخرين

أعلِن -أيها الزوج- عن حبِّك لزوجتك، وأعلني -أيتها الزوجة- عن حبك لزوجك، وإذا كان الشرع يدعو المسلم إلى إعلام الآخرين بمحبته كما جاء في حديث رسول الله ﷺ: «**إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فليُعلِمه**»[1]، فمن باب أولى إعلام كلٍّ من الزوجين الآخر بمحبته وتقديره.

عاشراً- المداراة

لا بدَّ أن يداري الرجل زوجته، ولا بدَّ أن تداري الزوجة زوجها؛ لأن المداراة نصف الحياة، وقيل: (المداراة نصف العقل)، فلعلك تداري أخاك أو جارك على الرغم من أخطائه الكثيرة؛ إذ تقوم الحياة على المداراة، وأولى من تداريه الزوجة.

روي أن رجلاً جاء سيدنا عمر رضي الله عنه يشكو خُلُقَ زوجته، فوقف على باب عمر رضي الله عنه ينتظر خروجه، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه، وعمر ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل راجعاً وقال: إنْ كان هذا حال عمر -مع شدته وصلابته، وهو أمير المؤمنين- فكيف حالي؟ فخرج عمر رضي الله عنه، فرآه مولِّياً عن بابه، فناداه وقال: ما حاجتك يا رجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين، جئتُ أشكو إليك سوء خُلُق امرأتي واستطالتها عليَّ، فسمعتُ زوجتك كذلك، فرجعت وقلت: إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته،

(١) البخاري في: الأدب المفرد، والطبراني.

فكيف حالي؟ فقال عمر ﷺ: يا أخي، إني احتملتُها لحقوق لها عليَّ: إنها طبّاخة لطعامي، خبّازة لخبزي، غسَّالة لثيابي، مُرضِعة لولدي، وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبي بها عن الحرام، فأنا احتملتها لذلك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكذلك زوجتي!! قال عمر ﷺ: فاحتمِلها يا أخي، فإنما هي مدة يسيرة[1].

هذه أمورٌ عشرة تؤثِّر بها في قلوب القريبين منك، يؤثر الزوج فيها بقلب زوجته، وتؤثر الزوجة فيها بقلب زوجها.

نسأل الله تعالى أن يُلقي المودة والرحمة في قلوبنا لأهلنا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والله أعلم.

(١) ذكر القصة الذهبي في: الكبائر ١/ ١٧٢، عند ذكر الكبيرة السابعة والأربعين: (نشوز المرأة على زوجها)، وابن حجر في: الزواجر عن اقتراف الكبائر.